

معانى الكلمات :

فرض عليك : أى أنزل إليك القرآن .

لرأدك إلى معاد : المقصود إلى مكة .

ظهيرا : معنا .

يصدك : يمنعك .

له الحكم : القضاء النافذ .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بالثقة في نصر الله .

٢ - أن يعلم المسلم صفة طريق الإيمان

. الله .

٣ - أن يصبر المؤمن على كل بلاء

. وشدة .



المحتوى التربوى :

تمضى الآيات لتقرر أن وعد الله قائم لكل السالكين في الطريق ، وإنه ما من أحد يؤذى في سبيل الله ، فيصبر ويستيقن إلا نصره الله في وجه الطغيان في النهاية ، فقد خرج الرسول من مكة وهى أعز وأحب بلاد الله إليه ووطن صباه ، فجاء الخطاب بالقسم بأن الذى فرض عليه القرآن سينصره في الموعد الذى قدره ، وهذا الأمر له شاهد فقد رد الله موسى من قبل إلى الأرض التى خرج منها هاربا مطارداً ، رده فأنقذ به المستضعفين من قومه ، وكانت العاقبة للمتقين .

ويقول صاحب الظلال : « وهكذا شاءت حكمة الله أن ينزل على عبده هذا الوعد الأكيد في ذلك الظرف والكرب ليمضى ﷺ في طريقه آمناً واثقاً ، مطمئناً إلى وعد الله الذى يعلم صدقه ، ولا يستريب لحظة فيه » .

ثم تمضى الآيات في تبيان أن الرسالة نزلت رحمة للرسول وهو لم يتطلع إليها ، وترسم الآيات بعد ذلك الطريق للرسول والدعاة ، فهى رحمة إذن بالرغم من التكاليف الشاقة والمهام الجمة العميرة التى يواجهها هؤلاء الدعاة ، فلا بد من جعل دعوتهم بيضاء بأن تبعد عن طريق الكفار ، أهل الزيغ والضلال بأن تكون دعوة خالصة لا لبس فيها ولا غموض دعوة إلى الله لا لمصلحة ولا لهوى ، بل يجب التسليم لله لتفرده عز وجل - بالألوهية والبقاء والحكم والقضاء ، ليمضى أصحاب الدعوات في طريقهم على هدى و يقين .

## سورة العنكبوت

تبدأ السورة بعد الحروف المقطعة بالحديث عن الإيمان ، والفتنة التي يتعرض لها المؤمنون لتحقيق هذا الإيمان ، وكشف الصادقين والكاذبين بالفتنة والابتلاء ، ويساق الحديث في صورة استفهام استنكارى لمفهوم الإيمان .

إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء ، وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال . فلا يكفي أن يقول الناس : آما . وهو لا يترك هذه الدعوة ، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم . كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به - وهذا هو أصل الكلمة اللغوية وله دلالاته وظله وإمجاؤه - وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب . هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت ، وسنة جارية ، في ميزان الله سبحانه :

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ؛ ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله ، مغيب عن علم البشر ؛ فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم . وهو فضل من الله من جانب ، وعدل من جانب وتربية للناس من جانب ، فلا يأخذوا أحداً إلا بما استعلن من أمره ، وبما حققه فعلة . فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه !

يقول صاحب الظلال : « ونعود إلى سنة الله في ابتلاء الذين يؤمنون وتعرضهم للفتنة حتى يعلم الذين صدقوا منهم ويعلم الكاذبين . إن الإيمان أمانة الله في الأرض ، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة . وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص . وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة ، وعلى الأمن والسلامة ، وعلى المتاع والإغراء . وإنها لأمانة الخلافة في الأرض ، وقيادة الناس إلى طريق الله ، وتحقيق كلمته في عالم الحياة . فهي أمانة كريمة ؛ وهي أمانة ثقيلة ؛ وهي من أمر الله يضطلع بها الناس ؛ ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصير على الابتلاء .

هناك فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه ، وهو لا يملك عنهم دفعا . وقد يهتفون به ليسالم أو ليتسلم ؛ وينادونه باسم الحب والقرابة ، واتقاء الله في الرحم التي يعرضها للأذى أو الهلاك . وقد أشير في هذه السورة إلى لون من هذه الفتنة مع الوالدين وهو شاق عسير .

وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين ، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين ، تهتف لهم الدنيا ، وتصفق لهم الجماهير ، وتتحطم في طريقهم العوائق ، وتصاغ لهم الأمجاد ، وتصفو لهم الحياة . وهو مهمل منكر لا يحس به أحد ، ولا يحامى عنه أحد ، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئا .

وهناك فتنة الغرابة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة ، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله غارقاً في تيار الضلالة ؛ وهو وحده موحد غريب طريد .

وهناك فتنة من نوع آخر قد نراها بارزة في هذه الأيام . فتنة أن يجد المؤمن أمماً ودولاً غارقة في الرذيلة ، وهي مع ذلك راقية في مجتمعتها ، متحضرة في حياتها ، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان . ويجدها غنية قوية ، وهي مشاققة !

وهناك الفتنة الكبرى . أكبر من هذا كله وأعنف . فتنة النفس والشهوة . وجاذبية الأرض . وثقله اللحم والدم ، والرغبة في المتاع والسلطان ، أو في الدعة والاطمئنان ، وصعوبة الاستقامة على صراط الإيثار والاستواء على مرتقاه ، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس .

وأما الذين يفتنون المؤمنين ، ويعملون السيئات ، فما هم بمفلقين من عذاب الله ولا ناجين . فهما انتفخ باطلهم وانتفش ، وبدا عليه الانتصار والفلاح . وعد الله كذلك وستته في نهاية المطاف ، ولا يحسن مفسد أنه ملفت ولا سابق ، ومن يحسب هذا فقد ساء حكمه ، وفسد تـبـديـره ، واختل تصوره فإن الله الذي جعل الابتلاء سنة ليمتحن إيمان المؤمن ويميز بين الصادقين والكاذبين ؛ هو الذي جعل أخذ المسيئين سنة لا تتبدل ولا تتخلف ولا تحيد .

وإذا كانت الفتنة سنة جارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف ، فخيبة المسيئين وأخذ المفسدين سنة جارية لا بد أن تجيء .

ويأتي التطمين للذين يرجون لقاء الله ، ووصل قلوبهم به في ثقة وفي يقين .

﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

فلتقر القلوب الراجية في لقاء الله ولتطمئن ؛ ولتنتظر ما وعدها الله إياه ، انتظار الواثق المستيقن ؛ ولتتطلع إلى يوم اللقاء في شوق ولكن في يقين .

والتعبير يصور هذه القلوب المتطلعة إلى لقاء الله صورة موحية . صورة الراجي المشتقاق ، الموصول بها هناك . ويجيب على التطلع بالتوكيد المريح . ويعقب عليه بالطمأنينة الندية ، يدخلها في تلك القلوب . فإن الله يسمع لها ، ويعلم تطلعتها : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

ويواجه السياق : القلوب التي تحتمل تكاليف الإيثار ، ومشاق الجهاد ، بأنها إنما تجاهد لنفسها ولخيرها ولاستكمال فضائلها ، ولإصلاح أمرها وحياتها ؛ وإلا فما بالله من حاجة إلى أحد ، وإنه لغنى عن كل أحد ، فلا يقفن أحد في وسط الطريق ، وقد مضى في الجهاد شوطاً ، يطلب من الله ثمن جهاده ، ويمن عليه وعلى دعوته ، ويستطيع المكافأة على ما ناله ، فإن الله لا يناله من جهاده شيء ، وليس في حاجة إلى جهد بشر ضعيف هزيل ، فالله غنى عن العالمين ، وإنما هو فضل من الله أن يعينه في جهاده ، وأن يستخلفه في الأرض به .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - السعي في دعوة الله مع الثقة بنصر الله المؤمنين .

٢ - الصبر على أذى المعاندين والمناوئين للدعوة .

٣ - إخلاص العبادة لله .

## معاني الكلمات :

حسنا : برا .

أنبتكم : أخبركم وأجازيكم .

خطايكم : ذنوبكم .

ليسألن : ليحاسبن ويعاقبن .

يفترون : يختلقون الأكاذيب .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بثقل التبعة الملقاة عليه وهي الدعوة إلى الله .

٢ - أن يتعرف المسلم على أنواع الابتلاء .

٣ - أن يصبر المسلم على الابتلاء والأذى .



## المحتوى التربوي :

تأتى الآيات بفاصل بين أنواع الابتلاء بطمأنة المؤمنين بثواب الله لهم من تكفير السيئات ، ومجازاتهم بالحسنات ، ثم تنتقل إلى لون آخر من ألوان الفتنة وهي فتنة الأهل والأحياء ، فإن للوالدين فضلا ورحمًا ، وإن لهما واجبا مفروضا ، واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة ، ولكن ليس لهما من طاعة في حق الله ؛ لأن الصلة في الأولى ، والرابطة في الله هي العروة الوثقى .

ويقول صاحب الأساس : « من أصعب الامتحانات التي يمر بها المؤمن المجاهد موقف والديه منه ، ومن أصعب الأمور أن يتصرف التصرف المناسب في مثل هذا الموطن ، ومن ثم ألزم الله المؤمن هنا بشيئين : الإحسان وعدم الطاعة في المعصية ، وهما أمران لا يستطيعهما معًا إلا موفق ، ومن ثم ذكر الله عز وجل في هذا السياق ما أعده لمن آمن وعمل صالحًا ، وعلى هذا فإن السياق حتى الآن يعرض علينا علامات الصدق في الإيمان ، وهي الصبر على الامتحان ، ورجاء ثواب الله ، والجهاد ، والعمل الصالح ، والإحسان إلى الوالدين ، مع الرفض لكل أمر فيه معصية ، وإذا كان هذا الشأن مع الوالد ، فمن باب أولى أن يكون الأمر كذلك مع غيرها . »

ويقول صاحب الظلال : « إن الوالدين لأقرب الأقرباء ، وإن لهما لفضلًا ، وإن لهما لرحمًا ؛ وإن لهما لواجبًا مفروضًا : واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة ، ولكن ليس لهما من طاعة في حق الله ، وهذا هو الصراط : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِرَأْسِهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ . »

إن الصلة في الله هي الصلة الأولى ، والرابطة في الله هي العروة الوثقى ؛ فإن كان الوالدان مشركين فلهما الإحسان والرعاية ، لا طاعة ولا اتباع ، وإن هي إلا الحياة الدنيا ثم يعود الجميع إلى الله . ويفصل ما بين المؤمنين والمشركون فإذا المؤمنون أهل ورفاق ولو لم يعقد بينهما نسب ولا صهر : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ وهكذا يعود الموصولون بالله جماعة واحدة ، كما هم في الحقيقة ، وتذهب روابط الدم والقرابة والنسب والصهر ، وتنتهي بانتهاى الحياة الدنيا ، فهي روابط عارضة لا أصيلة ، لانقطاعها عن العروة الوثقى التي لا انفصام لها .

ثم تأتي الآيات تذكر نموذجاً من النفوس عند استقبال الابتلاء ، ذلك النموذج يتحدث عنه صاحب الظلال قائلاً :

« يعلن كلمة الإيمان في الرخاء يحسبها خفيفة الحمل ، هيئة المؤونة ، لا تكلف إلا نطقها باللسان ، فإذا أودى في الله .. بسبب الكلمة التي قالها وهو آمن معافى ، جعل فتنة الناس كعذاب الله فاستقبلها في جزع ، واختلت في نفسه القيم ، واهترت في ضميره العقيدة ، وتصور أن لا عذاب بعد هذا الأذى الذى يلقاه حتى عذاب الله ، أما موقفهم وقت الرخاء ، فيدعون الانتساب للفتنة الصابرة ويتنفس المتخاذلون ، ويستأسد الضعفاء المهزومون ، فيقولون : إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ » .

قال الفخر الرازى : « قوله ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ قال الزمخشري : جعل فتنة الناس صارفة عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف عن الكفر ، وقيل : جزعوا من عذاب الناس كما جزعوا من عذاب الله ، وبالجملة معناه أنهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الأليم الدائم ، حتى ترددوا في الأمر وقالوا : إن آمانا نتعرض للتأذى من الناس وإن تركنا الإيمان نتعرض لما توعدنا به محمد عليه الصلاة والسلام ، واختاروا الاحتراز عن التأذى العاجل ولا يكون التردد إلا عند التساوى ومن أين إلى أين تعذيب الناس لا يكون شديداً ولا يكون مديداً ، لأن العذاب إن كان شديداً كعذاب النار وغيره يموت الإنسان في الحال فلا يدوم التعذيب ، وإن كان مديداً كالحبس والحصر لا يكون شديداً وعذاب الله شديد وزمانه مديد ، وأيضاً عذاب الناس له دافع وعذاب الله ما له من دافع ، وأيضاً عذاب الناس عليه ثواب عظيم ، وعذاب الله بعده عذاب أليم ، والمشقة إذا كانت مستعقبة للراحة العظيمة تطيب ولا تعد عذاباً كما تقطع السلعة المؤذية ولا تعد عذاباً » .

وعلق الفخر الرازى على قوله تعالى : ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا فِتْنَتَهُمْ ﴾ قائلاً : ما الفائدة في ذكر مدة لبثه ؟ نقول كان النبي ﷺ يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الإسلام وإصرارهم على الكفر فقال إن نوحاً لبث ألف سنة تقريباً في الدعاء ولم يؤمن من قومه إلا قليل وصبر وماضجر ، فأنت أولى بالصبر لقلّة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك ، وأيضاً كان الكفار يغترون بتأخير العذاب عنهم أكثر ومع ذلك ما نجوا بهذا المقدار من التأخير لا ينبغي أن يغتروا فإن العذاب يلحقهم .

وقال صاحب الظلال : « والراجع أن فترة رسالته التي دعا فيها قومه كانت ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وقد سبقتها فترة قبل الرسالة غير محددة ، وأعقبها فترة كذلك بعد النجاة من

الطوفان غير محددة ، وهو عمر طويل مديد ، يبدو لنا الآن غير طبيعي ولا مألوف في أعمار الأفراد ، ولكننا نلتقاه من أصدق مصدر في هذا الوجود - وهذا وحده برهان صدقه - فإذا أردنا له تفسيرًا فإننا نستطيع أن نقول : إن عدد البشرية يومذاك كان قليلاً ومحدودًا ، فليس بعيد أن يعوض الله هذه الأجيال عن كثرة العدد طول العمر ، لعارة الأرض وامتداد الحياة ، حتى إذا تكاثرت الناس وعمرت الأرض لم يعد هناك داع لطول الأعمار ، وهذه الظاهرة ملحوظة في أعمار كثير من الأحياء ، فكلما قل العدد وقل النسل طالت الأعمار ، كما في النور وبعض الزواحف كالسلحفاة ، حتى ليبلغ عمر بعضها مئات الأعوام ، بينما الذباب الذي يتوالد بالملايين لا تعيش الواحدة منه أكثر من أسبوعين ، والشاعر يعبر عن هذه الظاهرة بقوله :

بغاث الطير أكثرها فراخًا وأم الصقر مقلاة نزور

ومن ثم يطول عمر الصقر ، وتقل أعمار بغاث والله الحكمة البالغة ، وكل شيء عنده بمقدار ، ولم ألف سنة - إلا خمسين عامًا - غير العدد القليل الذين آمنوا لنوح ، وجرف الطوفان الكثرة العظمى وهم الظلمة بكفرهم وجحودهم وإعراضهم عن الدعوة المديدة ، ونجا العدد القليل من المؤمنين ، وهم أصحاب السفر ومضت قصة الطوفان والسفينة « آية لعالمين » تحدثهم عن عاقبة الكفر والظلم على مدار القرون .

ويقول صاحب الظلال : « إن الخطأ ليس في ضعف احتياهم للعذاب ، فهذا يقع للمؤمنين في بعض اللحظات ، ولكنهم يظلون يفرقون تفرقة واضحة بين ما يملكه البشر ، وبين عذاب الله العظيم ، وإنما الخطأ في مساواتهم عذاب الله بعذاب الناس . »

ثم فتنة أخرى تعرضها الآيات هي فتنة الإغواء والإغراء ، ويعرض معها فساد وتصور الذين كفروا للتبعية والجزاء ، ويقرر فردية التبعية وشخصية الجزاء ، فالكفار تمشيًا مع تصورهم القبلي في احتمال العشيرة للدييات المشتركة ، والتبعات المشتركة يحسبون أنهم قادرون على احتمال جريرة الشرك بالله عن سواهم وإعفائهم منها .

ثم يبدأ شوط جديد في السورة بذكر نهاذج من الفتن التي اعترضت دعوة الإيثار في تاريخ البشرية الطويل وأولها قصة نوح عليه السلام الذي تبدى فيها ضخامة الجهد وضآلة الحصيلة ، وقصة نوح تحفيز للدعاة أن يستمروا في دعوتهم ولا يصدنهم عنها قلة الناصرين مع طول فترة الدعوة ، وفيها بث الثقة في معية الله للمؤمنين أن الله ناصرهم ومؤيدهم ومخذل عدوهم بظلمه وصدده واستكباره .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

- ١ - الإحسان للوالدين والبر بهما ومعرفة حقهما مع تقديم حق الله .
- ٢ - الصبر في حال الرخاء والشدة .
- ٣ - السعى في دعوة الله دائماً دون الالتفات لكثرة المستجيبين للدعوة أو قلتهم .

معاني الكلمات :

إفكا : كذبا وباطلا .

ابتغوا : اطلبوا .

النشأة الأخرى : البعث بعد الموت .

تقبلون : ترجعون .

نصير : معين .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بقيمة السعي والسير للتفكير في خلق الله .
- ٢ - أن يعرف المؤمن كيفية جدال المنكرين .
- ٣ - أن يكثر المؤمن التفكير والاعتبار والاتعاظ .

المحتوى التربوي :

ويستمر القصة القرآني بذكر أنواع الابتلاء ، وإنجاء الله للمؤمنين ، فأنجي الله نوحا وأصحاب السفينة .

ثم يأتي القرآن بقصة إبراهيم عليه السلام وما فيها من العظة والعبرة بذكر خطوط الدعوة الرئيسية وهي الدعوة إلى العبادة لله مع تقواه ثم لا يقتصر دوره على الدعوة بل الاعتراض ومجابهة الظالمين وتصحيح المفاهيم من عدة وجوه :

- ١ - أنهم يعبدون أوثاناً من دون الله .
- ٢ - وأنهم لا يستندون بهذه العبادة إلى برهان أو دليل .
- ٣ - أن هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعاً ولا ترزقهم شيئاً .

ثم تنتقل الآيات لقضية شغلت النفوس بخاصة التي لم يستغرقها الإيذان ، ولكن ابتغاء الرزق من الله وحده حقيقة لا مجرد استشارة للميول الكامنة في النفوس ، ولو آمن بهذا الضالون لانتهوا عن ضلالتهم وعبدوا الله حق العباداة وشكروا له نعمه ، بل وثمة قضية أخرى هي قضية الإيذان بالبعث والنشور لو استقرت في القلوب لعدل المشركون عن اتخاذ الأوثان آلهة من دون الله .

وتصل الآيات إلى ما يطمئن الدعاة إلى الله أن البلاغ مهمتهم ، وألا يمزقهم التكذيب ، وأن ذلك كان في الأمم التي كانت قبلنا ، فهذا سرد لقصص السابقين حتى لا يقنط السائران إلى الله أن دعوة الله لا تقاس بالكثرة ؛ لأن أكثر الناس لا يؤمنون .

ويأتى النص القرآني بما يرشد المؤمنين حين يدعون الكافرين أن يتفكروا في الكون من حولهم ، ليعتبروا عن آيات الله ، ويروا دلائل وجوده يقول صاحب الظلال :

« إنه خطاب لكل منكر لله ولقائه خطاب دليله هذا الكون ؛ ومجاله السماء والأرض ؛ على طريقة القرآن في اتخاذ الكون كله معرضاً لآيات الإيذان ودلائله ، وصفحة مفتوحة للحواس والقلوب ، تبحث فيها عن آيات الله وترى دلائل وجوده ووحدانيته ، وصدق وعده ووعيده ، ومشاهد الكون وظواهره حاضرة أبداً لا تغيب عن إنسان ، ولكنها تفقد جدتها في نفوس الناس بطول الألفة ؛ ويضعف إيقاعها على قلوب البشر بطول التكرار ، فيردهم القرآن الكريم إلى تلك الروعة الغامرة ، وإلى تلك الآيات الباهرة بتوجيهه أحيى ، المحيى للمشاهد والظواهر في القلوب والضمائر ، ويشير تطلعهم وانتباههم إلى أسرارها وآثارها ، ويجعل منها دلائله وبراهينه التي تراها الأبصار وتتأثر بها المشاعر ، ولا يتخذ طرائق الجدال الذهني البارد والقضايا المنطقية التي لا حياة فيها ولا حركة تلك التي وفدت على التفكير الإسلامى من خارجه فظلت غريبة عليه ، وفي القرآن المثل والمنهج والطريق .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

« وأنهم ليرون كيف يُبدئ الله الخلق ، يروونه في النبتة النامية ، وفي البيضة والجنين ، وفي كل ما لم يكن ثم يكون ، مما لا تملك قدرة البشر مجتمعين ومنفردين أن يخلقوه أو يدعوا أنهم خالقوه ، وإن سر الحياة وحده لمعجز ، كان وما يزال ، معجز في معرفة منشئه ، وكيف جاء . »

ثم يتتابع الأمر القرآني بالسير في الأرض ؛ لأن الإنسان قد يعيش في مكان واحد يألفه فلا يكاد ينتبه إلى شيء من مشاهدته أو عجائبه ، ولكنه إذا سافر وتنقل استيقظ حسه لمشاهد الكون ، وربما عاد لموطنه بحس جديد وروح جديد يتأمل في الكون بعد أن كان غافلاً عنها ، فتأمل في قدرة الله وتعذيبه لمن يشاء ورحمته لمن يشاء ؛ لأن العذاب والرحمة يتبعان مشيئة الله ، من حيث أنه بين طريق الهدى وطريق الضلال ، وخلق الإنسان من الاستعداد ما يختار به هذا أو ذاك ، ويسر له الطريقتين سواء ، وهو بعد ذلك ، ما يختار غير أن اتجاهه إلى الله ، ورجبته إلى الله ورجبته في هداة ، تنتهي به إلى عون الله .

وعلق الفخر الرازي على قوله تعالى : ﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ قائلاً : « قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع أن رحمته سابقة كما قال عليه السلام حاكياً عنه : «سبقت رحمتي غضبي» فنقول ذلك لوجهين . أحدهما : أن السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقه بحكم الإيعاد وعقبه بالرحمة ، وكما ذكر - بعد إثبات الأصل الأول وهو التوحيد - التهديد بقوله : ﴿ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ كذلك ذكر بعد إثبات الأصل الآخر التهديد بذكر التعذيب ، وذكر الرحمة وقع تبعاً لثلاث يكون العذاب مذكوراً وحده وهذا يحقق قوله «سبقت رحمتي غضبي» وذلك لأن الله حيث كان المقصود ذكر العذاب لم يحضه في الذكر بل ذكر الرحمة معه » .

وتأتى الآيات بخطاب مع الكفار الذين لا يملكون شيئاً في هذا الوجود ، وليس لهم نصير ولا معين من المعبودات التي يعبدونها ، وهذا يؤدي إلى بأسهم يوم القيامة ، حين يرون أنفسهم مبعدين عن رحمة الله .

وقال صاحب الأساس : « لفتت هذه الآيات النظر إلى رؤية البداية والنهاية ؛ فمن رأى البداية والنهاية عبد الله وشكره ، ولم يطلب الرزق إلا منه ، وهى الدعوة التى ركز عليها إبراهيم عليه السلام ، كما لفتت الآيات النظر إلى طلاقة المشيئة الإلهية فى الرحمة والعذاب ، وهذا يقتضى عبادة وشكراً ، وطلباً منه وحده ، كما لفتت الآيات النظر إلى عدم فوات الإنسان الله فى السماء والأرض ، وفى ذلك دفع للعبادة والشكر ، وطلب الرزق من الله وحده ، وختمت الآيات بآيات الكافرين من رحمة الله ، واستحقاقهم العذاب ، وفى ذلك دفع نحو العبادة والشكر ، فارتباط الآيات فيما مضى من قصة إبراهيم عليه السلام واضح ، كما أن فى الآيات ردّاً على الكافرين فى قولهم ﴿ اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ ﴾ فلو أن الكافرين رأوا البداية والنهاية ، وعرفوا طلاقة المشيئة الإلهية فى الرحمة والعذاب ، وعرفوا عدم فواتهم الله ، وعرفوا أن رحمته لا ينالها كافر ، وأن العذاب آتٍ ، لو عرفوا هذا ، ما تجرؤوا على الكفر والتكفير ، ثم يعودُ السياق إلى قصة إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾ أى قوم إبراهيم حين دعاهم إلى الإيمان إلا أن قالوا : ﴿ أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ فانفقوا على تحريقه بعد أن قامت عليهم الحجة ، ولزمهم البرهان فعدلوا ، شأن الطغاة إلى استعمال عز السلطان ضد الإيمان ﴿ فَأَجْنَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ حين قذفوه فيها ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ أى فى فعلهم وفعل الله ﴿ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أما الكافرون فإنهم لا يتفتنون بآية أبداً » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - السعى فى طلب الرزق من الله ، والإيمان بأن الله هو بيده الأمر كله .

٢ - الصبر فى الدعوة إلى الله عز وجل .

٣ - التفكر فى خلق الله عز وجل .

معاني الكلمات :

مأواكم : مصيركم .

مهاجر إلى ربي : تارك وطني .

الفاحشة : الفعل القبيحة .

تقطعون السبيل : تقفون في طريق الناس .

ناديكم : مجلسكم الذي تجتمعون فيه .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١- أن يشعر المؤمن بقبح الذنب ، وسوء ضرره في المجتمع .
- ٢- أن يعرف المؤمن جوانب من قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام .
- ٣- أن يأمر المؤمن بالمعروف وينهى عن المنكر حسب استطاعته .

## المحتوى التربوي :

يعود السياق القرآني لقصة إبراهيم ليبرز الطغيان ، وقد أسفر عن وجهه الكالح ، ولم يكن إبراهيم الظلال يملك له دفعا ، ولا يستطيع منه وقاية ، وهو فرد أعزل لا حول له ولا طول ، فهنا تتدخل القدرة سافرة كذلك ، تتدخل بالمعجزة الخارقة المألوفة للبشر بآيات وهذه الآيات يذكرها صاحب الظلال : « الآية الأولى : هي تلك النجاة من النار ، والآية الثانية : هي عجز الطغيان عن إيذاء رجل واحد يريد الله له النجاة ، والآية الثالثة : هي أن الخارقة لا تهدى القلوب الجاحدة ، ذلك لمن يتدبر تاريخ الدعوات ، وتصريف القلوب وعوامل الهدى والضلال » .

وذكر صاحب الأساس : « بمناسبة قوله تعالى : ﴿ فَأَجْنَحَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ﴾ قال ابن كثير : ( وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة ، وحوطوا حولها ، ثم أضرموها فيها النار ،

فارتفع لها هب إله عنان السماء ، ولم توفد نار قط أعظم منها ، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكثفوه ، وألقوه في كفة المنجنيق ، ثم قذفوه فيها ، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا ، وخرج منها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا ، ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إمامًا ، فإنه بذل نفسه للرحمن ، وجسده للنيران ، وسخا بولده للقربان ، وجعل ماله للضيغان ، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان .

بمناسبة قوله تعالى : ﴿ وَمَأْوِنَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرِينَ ﴾ قال ابن كثير : ( وهذا حال الكافرين وأما المؤمنون فبخلاف ذلك ، روى ابن أبي حاتم عن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب قالت : قال لي النبي ﷺ : « أخبرك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد ، فمن يدرى أين الطرفين ؟ قالت : قلت : الله ورسوله أعلم - ثم ينادى مناد من تحت العرش يا أهل التوحيد فيشربون - قال أبو عاصم : يرفعون رؤوسهم - ثم ينادى يا أهل التوحيد ثم ينادى الثالثة : يا أهل التوحيد إن الله قد عفا عنكم - قال - فيقول الناس قد تعلق بعضهم ببعض في الظلمات الدنيا - يعني المظالم - ثم ينادى يا أهل التوحيد ليعفُ بعضهم عن بعض وعلى الله الثواب . »

ثم يعرض النص القرآني مشهد الظالمين مع بعضهم البعض يوم القيامة من تكفير بعضهم البعض ، ولعن بعضهم بعضا ، وأن هذا ليقع في الجماعات التي لا تأخذ العقيدة مأخذ الجد فيسترضى الصاحب صاحبه على حساب العقيدة ، ثم يكشف عن صفحتهم في الآخرة فهم في عذاب ولعن وانقسام ، في يوم يتنكر التابعون المتبوعين ، ويكفر الأولياء بالأولياء ، ويتهم كل فريق صاحبه أنه أضله ، ويلعن كل غوى صاحبه الذي أغواه .

ونقل القاسمي عن العلامة القاشاني تفسير المودة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ﴾ فقال : « والمعنى أن المودة قسمان : مودة دنيوية ، ومودة أخروية . والدنيوية منشؤها النفس ، والأخروية منشؤها الروح ، فكل ما يجب ويؤد من دون الله ، لا لله ولا بمحبة الله ، فهو محبوب بالمودة النفسية ، وهو هوى زائل ، كلما انقطعت الوصلة البدنية زالت ولم تصل إلى إحدى القيامات ، فإنها نشأت من تركيب البدن واعتدال المزاج ، فإذا انحل التركيب وانحرف المزاج ، تلاشت وبقي التضاد والتعاند ، بمقتضى الطباع ، لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾ الآية ، ولهذا شبهها بيت العنكبوت في الوهن .

وأما الأخروية فمنشؤها المحبة الإلهية ، وتلك المودة هي التي تكون بين الأصفياء والأولياء ، لتناسب الصفات ، وتجانس الذوات ، لا تتصفي غاية الصفاء إلا عند زوال التركيب ، فيصير يوم القيامة محبة صرفة الهيئة ، بخلاف تلك ، انتهى . »

ثم جاء النص القرآني بدعوة لوط والإعراض عنه ويقول صاحب الظلال في تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ إنه لم يهاجر للنجاة ، ولم يهاجر إلى أرض أو كسب أو تجارة ،

إنها هاجر إلى ربه ، هاجر متقرباً له ملتجئاً إلى حماه ، هاجر إليه بقلبه وعقيدته قبل أن يهاجر بلحمه .»

وكان عطاء الله الجزيل لإبراهيم وذريته ، فقد عوضه الله عن وطنه وعن قومه وأهله بذرية تمضي فيها رسالة الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثم يأتي النص القرآني بعرض بالغ التأثير لدعوة لوط عليه السلام مع قومه ، فقد فشا في قومه شذوذ غريب وهو إتيان الذكور من دون النساء ، وهي كما يقول صاحب الظلال: « فاحشة شاذة قدرة تدل على انحراف الفطرة ، فالفطرة قد تتجاوز حد الاعتدال مع المرأة ، فتكون جريمة فاحشة ، ولكنها داخلية في نطاق الفطرة ومنطقها ، أما ذلك الشذوذ الآخر فهو انحلال من فطرة الأحياء جميعاً ، فقد جعل الله لذة المباشرة الجنسية متناسقة مع خط الحياة الأكبر ، وجهاز كيان كل من الزوجين بالاستعداد للتلاذذ بهذه المباشرة نفسياً وعضوياً ، فأما المباشرة الشاذة فلا هدف لها ، وإذا وجد فيها أحد لذة ، فمعنى هذا أنه انسلخ نهائياً من حظ الفطرة ، وعاد مسخاً لا يرتبط بخط الحياة .»

والفاحشة حين تسود تجرئ النفس على المعصية ، واستشرت جرائم قوم لوط فهم يقطعون السبيل ، وينهبون المال ، ويروعون المارة ، ويعتدون على الرجال بالفاحشة كرها ، وهي درجة أبعد في الفحش ، وفساد الفطرة ، والتبجح بالرديلة إلى حد لا يرجى معه صلاح .

وإزاء هذا التبجح والصد والتكذيب والإعراض لا يجد الداعي إلى الله بدا إلا اللجوء إلى الله ؛ كي ينصره على القوم المفسدين الظالمين ، فقد بذل الوسع والطاقة معهم ، ولكن فسادهم قطع كل محاولات إصلاحهم .

قال الفخر الرازي : « واعلم أن نبيا من الأنبياء ما طلب هلاك قوم إلا إذا علم أن عدمهم خير من وجودهم ، كما قال نوح : ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح) يعني المصلحة إما فيهم حالاً أو بسببهم مآلاً ولا مصلحة فيهم ، ، فإنهم يضلون في الحال وفي المآل فإنهم يوصون الأولاد من صغرهم بالامتناع من الأتباع ، فكذلك لوط لما رأى أنهم يفسدون في الحال واشتغلوا بها لا يرجى معه منهم ولد صالح يعبد الله ، بطلت المصلحة حالاً ومآلاً ، فعدمهم صار خيراً ، فطلب العذاب .»

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - معية الله قريبة من المؤمنين مهما اشتدت بهم المحن ، وعظمت عليهم البلايا .

٢ - تسلية الرسول ﷺ أن إبراهيم لم يؤمن به إلا لوط عليه السلام.

٣ - محاربة الرديلة والفواحش بجميع أنواعها .

## معاني الكلمات :

- الغابرين : الباقين من العذاب .  
ضاق بهم ذرعاً : ضعفت طاقته .  
آية بينة : علامة واضحة .  
لا تعثوا : لا تفسدوا .  
الرجفة : الزلزلة الشديدة .  
جاثمين : باركين .  
مستبصرين : عقلاء واعين .



## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المسلم بمعية الله للمؤمنين .
- ٢ - أن يتعرف المسلم على جوانب وعبر من إهلاك الله للأمم الظالمة .
- ٣ - أن يمضي المسلم في دعوته لله عز وجل بمصابرة ومثابرة .

## المحتوى التربوي :

تعرض الآيات مشهد ذهاب الملائكة لإهلاك قرية قوم لوط ، وقبلها تبشير إبراهيم بولادة إسحاق ، وتظهر رقة إبراهيم ورأفته بأن تلك القرية فيها لوط ، فتعلمه الملائكة بما يطمئنه بأن عدل الله واقع بنجاة لوط الطيب وأهله إلا امرأته .

كان هلاك امرأة لوط ؛ لأن هواها مع القوم ، تفر جرائمهم وانحرافهم ، وهو أمر عجيب .  
وهنا يلمح أمران هما :

قال الفخر الرازي : « القوم عذبوا بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وأمرأة لوط لم يصدر منها تلك فكيف كانت من الغابرين معهم ؟ فنقول : الدال على الشر له نصيب كفاعل الشر ، كما

أن الدال على الخير كفاعله ، وهى كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم ،  
فبالدلالة صارت واحدة منهم .

- إن علاقات الزوجية والقرابة والمصاهرة لا تنفع من العذاب ، وأن الإيثار بالله أوثق صلة ،  
وأشد علاقة .

- إن الإقرار والرضا بارتكاب المنكر وموافقة الآخرين على ارتكابه حتى لو لم يقترفه العبد  
نفسه قد يستوجب العذاب والنكال من الله .

ويمضى السياق القرآنى داعياً للتأمل فى مصير قوم لوط ، وقد أصاب التدمير تلك القرية ،  
وكان هذا التدمير بأمطار وأحجار ملوثة بالطين ، وما زالت آثار هذا التدمير آثاره باقية إلى الآن ،  
وكان هذا هو المصير الطبيعى لهذه الشجرة الخبيثة التى فسدت وأنتنت ، فلم تعد صالحة للإثمار  
ولا للحياة ، ولم تعد تصلح إلا للاجتثاث والتحطيم .

وقد تقدمت قصة شعيب فى سورة هود فقال تعالى : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا  
فِي دِيَرِهِمْ جَنِيْمًا ﴾ (هود) وعلق الشيخ أبو زهرة فى زهرة التفاسير قائلاً : والصيحة  
تبعثها رجفة فى الأرض ماتوا بها ؛ ولذا قال : ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِيْمًا ﴾ أى ميتين  
وجائمون ملازمون أماكنهم لا يستطيعون حراكًا ؛ لأن الموت الدايم أفقدهم الحركة .

وحلقة أخرى تعرضها الآيات فى عرض قصة العقيدة ، ولباب هذه هى العقيدة : ﴿ أَعْبُدُوا  
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ .

\* عبادة الله هى قاعدة العقيدة .

\* ورجاء اليوم الآخر كفيل بتحويلهم عما كانوا يرجونه فى هذه الحياة الدنيا من الكسب  
المادى الحرام بالتطيف فى الكيل والميزان وغضب المارين بطريقهم للتجارة ، وبخس الناس  
أشياءهم .

وتواصل الآيات لتنبه المؤمنين إلى وجوب التبصر بمصير وهلاك الأمم الكافرة مثل قوم  
شعيب الذين أهلكتهم الله بالرجفة التى زلزلت بلادهم فأصبحوا جائمين ، وكذلك قوم عاد  
وئمود الذين أهلكتهم وبقيت آثارهم إلى الآن تنطق بأمر الله الواقع بالكافرين وأن رحمة الله قريب  
من المحسنين .

وقال الشيخ أبو زهرة : وفى القصة التى جمعت بين إبراهيم ولوط عبر نذكر منها :

منها أن الفواحش تفتك بالجماعات وتذهب قوتها وتعددها للفناء ، كما فى شأن قوم لوط إذ أن  
فاحشتهم قطعت نسلهم وأسلمتهم إلى الدمار ، ومنها أن كل امرئ بما كسب رهين ومعاقب

بعمله ، فلم يعف امرأة لوط من العذاب أنها امرأته ، ولأنها كانت من المفسدين حق عليها ما نزل بهم من العذاب .

ومنها أن آل لوط لم يكونوا عبدة أو ثان فقط بل كانوا مع ذلك يأتون الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد ، يأتون الرجال شهوة من دون النساء حتى أصبحوا لا يخرجون من شر إلا إلى شر ، فهم في دائرة الفساد المطلق والفاحشة الشنعاء التي هي كرؤوس الشياطين من المخثين ومن يشبهون بالإناث في ملابسهم وشعورهم بل وفي أفعالهم ، ووجدت جماعة تنطلق انطلاقاً إلى كل موبق باسم حرية الإرادة وما هي إلا الوقوع في أسر الشهوة ومن ورائها ذلها .

ومنها أن الانطلاق إلى الهوى لا يرد عقل ولا تدبير ولا حياة بل ولا أي مروءة إنسانية ، حتى أنهم عندما رأوا الملائكة ، جاؤوا إلى لوط ~~الذي~~ يهرعون وإنه ليعرض بناته للزواج ، فيقولون في تبجح : ﴿ لَقَدْ عَمَتْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ (هود: ٧٩) وهكذا نرى ممن يشبهونهم في عصرنا .

وفي الآيات إشارة للكفار الذين أضلهم الشيطان وزين لهم أعمالهم ، فظن الضالون أن ما يفعلونه هو عين الصواب ، فهم الأخرسون أعمالهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

يقول صاحب الأساس : ﴿ قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ أي : عقلاء متمكنين من النظر ، وتمييز الحق من الباطل ، ولكنهم لم يفعلوا ، أو كانوا مستبصرين بالمعنى الذي يطلقه الكفرة على أنفسهم بأنهم مستبصرون ، إلا أن استبصارهم لم يكن إلا في أمر ظواهر الدنيا فقط .

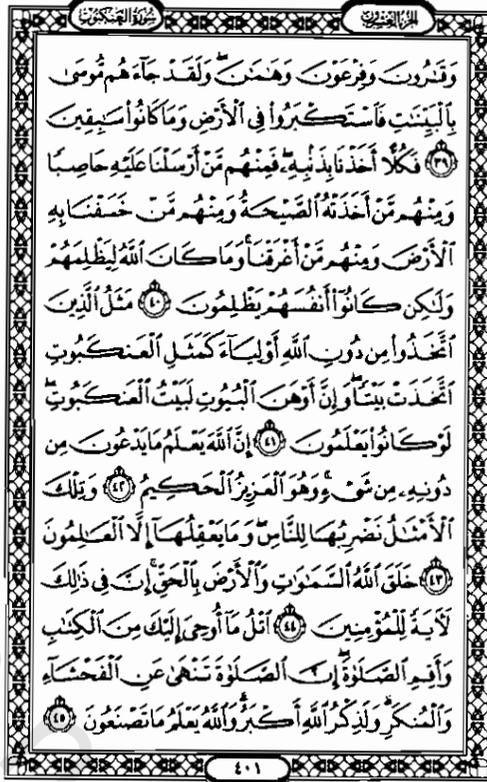
يقول صاحب الظلال : ﴿ وعاد كانت تسكن بالأحقاف في جنوب الجزيرة بالقرب من حضر موت ، وثمود كانت تسكن بالحجر في شمال الجزيرة بالقرب من وادي القرى وقد هلكت عاد بريح صرصر عاتية ، وهلكت ثمود بالصيحة المزلزلة ، وبقيت مساكنها معروفة للعرب ، يمرون عليها في رحلتى الشتاء والصيف ، ويشهدون آثار هذا التدمير بعد العز والتمكين .

كانت لهم عقول ، وكانت أمامهم دلائل الهدى ، ولكن الشيطان استهوهم ، وزين لهم أعمالهم وأتاهم من هذا الشجرة المكشوفة وهي غرورهم بأنفسهم ، وإعجابهم بما يأتونه من أعمال . ما ترشدنا إليه الآيات ترويضاً :

- ١ - التفكير في معية الله للمؤمنين ، وإخراجهم من بين الأمم التي حق عليها العذاب .
- ٢ - الإيمان بأن علاقة الإيمان هي العلاقة المنجية ، وأن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .
- ٣ - الحذر من غواية الشيطان ، وأن يكون المسلم موصولاً بالله .

معاني الكلمات :

- سابقين : فائتين من العذاب .  
 حاصباً : ريحا عاصفا ترميهم بالحجارة .  
 الصبيحة : صوت مهلك .  
 أوهن : أضعف .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١- أن يشعر المؤمن بدور العبادات وذكر الله وتلاوة القرآن في حياته .
- ٢- أن يعرف المسلم الزاد الذي ينفعه في حياته ودعوته .
- ٣- أن يواصل المؤمن عباداته بخشوع ، وأن يستزيد منها ما أمكنه ذلك .

المحتوى التربوي :

تأتى الآيات هنا بذكر الأفراد الذين ظلموا وطمغوا ، وأغرثهم قوتهم ، فقارون أغراه المال ، وظن أنه أوتيه على علم عنده ، والمال مال الله ، ولم يستمع نصيح الناصحين بالإحسان ، ومن البشر من تغريه قوة الحكم والسلطان فيصير طاغية غشوماً ، ويرتكب أشنع الجرائم وأغلظها ، وهامان كان المدير لمكائد فرعون والمعين له على ظلمه وبطشه ، وأهلك الله هؤلاء الأحاد كما أهلك الأمم بسبب صدهم لموسى عليه السلام لما جاءهم بالبينات .

وهنا تكررت قصة قارون وفرعون وهامان ، ويقول الشيخ أبو زهرة : « إن قصص القرآن لا مكرر فيه ، وإن كان يبدو ظاهر الأمر أن فيه تكراراً ؛ لأن الذكر يكون على قدر العبرة وهنا في هذا الموضع يذكر أحوال الأمم الذين يُبعث النبيون إليهم ؛ ولذا ذكر قوم فرعون ، وما حل بهم

من اتباعهم فرعون ولم يفصل الآيات المتوالية التي كانت تجرى على يدي موسى آية بعد آية ، وهم لم يرتدعوا حتى أهلكهم الله تعالى بالغرق كما ذكر سبحانه ذلك في سورة الأعراف ، وكما ذكر حال فرعون وقد أصابه الغرق ، وآمن في آخر رمق في حياته إيماناً لا يقبله الله تعالى .

قال الفخر الرازي : « ذكر الله أربعة أشياء : العذاب بالحاصب ، وقيل : إنه كان بحجارة محماة يقع على واحد منهم وينفذ من الجانب الآخر ، وفيه إشارة إلى النار والعذاب بالصيحة وهو هواء متوج ، فإن الصوت قيل سببه تموج الهواء ووصوله إلى الغشاء الذي على منفذ الأذن وهو الصياخ فيقرعه فيحس ، والعذاب بالخسف وهو الغمر في التراب ، والعذاب بالإغراق وهو بالماء ، فحصل العذاب بالعناصر الأربعة والإنسان مركب منها وبها قوامه وبسببها بقاؤه ودوامه ، فإذا أراد الله هلاك الإنسان جعل ما منه وجوده سبباً لعدمه ، وما به بقاؤه سبباً لفناؤه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ يعني لم يظلمهم بالهلاك ، وإنما هم ظلموا أنفسهم بالإشراك وفيه وجه آخر أطفف وهو أن الله ما كان يظلمهم أى ما كان يضعهم في غير موضعهم فإن موضعهم الكرامة كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ لكنهم ظلموا أنفسهم حيث وضعوها مع شرفهم في عبادة الوثن مع خسته .

وتدعو الآيات للتأمل في قدرة الله وخلقه كما يقول صاحب الظلال : « إن هناك قوة واحدة هي قوة الله ، وما عداها من قوة الخلق فهو هزيل واهن ، من تعلق به أو احتتمى فهو كالعنكبوت الضعيفة تحتوى بيت من خيوط واهية ، فهي وما تحتوى به سواء .

فالذين تخدعهم قوة الحكم والسلطان أو قوة المال ينسون أصل سائر القوى ، وينخدعون بالقوى الظاهرة ، فيدورون حولها كما يدور الفراش على المصباح ، وكما يتهافت الفراش على النار ، رغم أنه ليس هنالك إلا حماية الله ، وإلاحاه ، وإلا ركنه القوى الركين .

وقال الفخر الرازي : « مثل الله اتخاذهم الأوثان أولياء باتخاذ العنكبوت نسجه بيتاً ولم يمثله بنسجه وذلك لوجهين ، أحدهما : أن نسجه فيه فائدة له لولاه لما حصل وهو اصطياها الذباب به من غير أن يفوته ما هو أعظم منه ، واتخاذهم الأوثان وإن كان يفيدهم ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا ، لكن يفوتهم ما هو أعظم منها وهو الدار الآخرة التي هي خير وأبقى فليس اتخاذهم كسج العنكبوت ، الوجه الثاني : هو أن نسجه مفيد لكن اتخاذها ذلك بيتاً أمر باطل فكذلك هم لو اتخذوا الأوثان دلائل على وجود الله وصفات كماله وبراهين على نعوت إكرامه وأوصاف جلاله لكان حكمة ، لكنهم اتخذوها أولياء كجعل العنكبوت النسج بيتاً وكلاهما باطل .

كما أن هذا المثل صحيح في الأول فهو صحيح في الآخر ، فإن بيت العنكبوت إذا هبت ريح لا يرى منه عين ولا أثر بل يصير هباءً منثوراً ، فكذلك أعمالهم للأوثان كما قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان) .

قال : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ ولم يقل آلهة إشارة إلى إبطال الشرك الخفى أيضاً ، فإن من عبد الله رياء لغيره فقد اتخذ ولياً غيره فمثله مثل العنكبوت يتخذ نسجه بيتاً .

ويتابع صاحب الظلال تأملاته فيقول : « إن أصحاب الدعوات الذين يتعرضون للفتنة والأذى ، وللإغراء والإغواء ، لجديرون أن يفقهوا الحقيقة الضخمة ، ولا ينسون لحظة ، وهم يواجهون القوى المختلفة ، هذه تضربهم ، وتحاول أن تسحقهم ، وهذه تستهويهم ، وتحاول أن تشتريهم ، وكلها خيوط العنكبوت في حساب الله ، وفي حساب العقيدة حين تصح العقيدة ، وحين تعرف حقيقة القوى . وتحسن التقويم والتقدير . »

ثم تشير الآيات لقيمة العقل ، وعقد موازنة بين المؤمنين والكافرين في هذا الأمر ، فالضالون لا يعقلون الأمثال التي يضرها الله لهم ، بل ويتخذونها مادة للسخرية والتهكم ، وقالوا : إن رب محمد يتحدث عن الذباب والعنكبوت ، ولم يهز مشاعرهم هذا التصوير العجيب ، لكن المؤمنين بقلوبهم المفتحة ، وعقولهم الراجحة يتفكرون في خلق السموات والأرض ، وفي هذا الكون بتنسيقه ، وتنظيمه .

ولكى تتفتح القلوب للدعوة ، وتستطيع العقول التدبر لا بد من الزاد الذى يعينها على ذلك وهو :

- القرآن الكريم ، وهو الحق المرتبط بالحق الكامن في خلق السموات والأرض ، وهو وسيلة الدعوة ومنهاج المسلم في دعوته لربه .

- إقامة الصلاة وهى حين تقام تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فهى اتصال بالله ينجل صاحبه ، ويستحى أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها .

- ذكر الله والديمومة على ذلك ، وذكر الله أكبر على رد كل اندفاع ومن كل نزوع ، وأكبر من كل تعبد وخشوع ، وقد أخرج أحمد في الزهد ، وابن المنذر عن معاذ بن جبل ، قال : ما عمل آدمى عملاً أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله تعالى ، قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال : ولا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ، لأن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ .  
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعانى من الأفهام .

٢ - فضل العلماء على غيرهم ، العلماء بالله ، بصفاته وأسمائه وآياته .

٣ - وجوب تلاوة القرآن ، وإقامة الصلاة ، وذكر الله ؛ أذهى غذاء الروح ، وزاد العروج إلى الملكوت الأعلى .

## معانى الكلمات

لا تخطفه : لا تعرف الكتابة .

المبطلون : الكافرون .

آيات : معجزات مادية .

ذكرى : تذكرة بليغة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بقيمة الرفق في الدعوة .

٢ - أن يعلم المؤمن طريقة مجادلة أهل الكتاب والمشركين .

٣ - أن يكون المسلم رفيقا في دعوته .



## المحتوى التربوى :

تكشف الآيات عن الواجب اتباعه في مجادلة أهل الكتاب ، أن تكون بالحكمة والإقناع ، ذلك أن دعوة الله التي حملها نوح عليه السلام والرسل من بعده إلى خاتم النبيين ذات هدف واحد هو رد البشرية الضالة إلى ربها ، وإن المؤمنين بكل رسالة لأخوة المؤمنين بسائر الرسالات .

ويقول صاحب الظلال : « إن دعوة الله التي حملها نوح عليه السلام والرسل من بعده حتى وصلت إلى خاتم النبيين محمد عليه السلام هي دعوة واحدة من عند إله واحد ، ذات هدف واحد ، هو رد البشرية الضالة إلى ربها ، وهدايتها إلى طريقه ، وترتيبها بمنهاجه ، وإن المؤمنين بكل رسالة لإخوة للمؤمنين بسائر الرسالات : كلهم أمة واحدة ، تعبد إلهًا واحدًا ، وإن البشرية في جميع أجيالها لصفان اثنان : صنف المؤمنين وهم حزب الله ، وصنف المشايقن لله وهم حزب الشيطان ، بغض النظر عن تطاول الزمان وتباعد المكان ، وكل جيل من أجيال المؤمنين هو حلقة في تلك السلسلة الطويلة الممتدة على مدار القرون . »

وهذه هي الحقيقة الضخمة العظيمة الرفيعة التي يقوم عليها الإسلام ، هذه الحقيقة التي ترفع العلاقات بين البشر عن أن تكون مجرد علاقة دم أو نسب ، أو وطن ، أو تبادل أو تجارة عن هذا كله ؛ لتصلها بالله ، ممثلة في عقيدة واحدة تذوب فيها الأجناس والألوان ، وتختفى فيها القوميات والأوطان ، ويتلاشى فيها الزمان والمكان ولا تبقى إلا العروة الوثقى في الخالق الديان .

ومن ثم يكشف للمسلمين عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى ؛ لبيان حكمة مجيء الرسالة الجديدة ، والكشف عما بينها وبين الرسائل قبلها من صلة ، والإقناع بضرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صور دعوة الله ، الموافقة لما قبلها من الدعوات ، المكملة لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشر : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فانحرفوا عن التوحيد الذى هو قاعدة العقيدة الباقية ؛ وأشركوا بالله وأخلوا بمنهجه فى الحياة ، فهؤلاء لا جدال معهم ولا محاسبة ، وهؤلاء هم الذين حاربهم الإسلام عندما قامت له دولة فى المدينة .

وإن بعضهم ليفترى على رسول الله ﷺ أنه حاسن أهل الكتاب وهو فى مكة مطارد من المشركين ، فلما أن صارت له قوة فى المدينة حاربهم ، مخالفاً كل ما قاله فيهم وهو فى مكة ! وهو افتراء ظاهر يشهد هذا النص المكى عليه ، فمجادلة أهل الكتاب بالحسنى مقصورة على من لم يظلم منهم ، ولم ينحرف عن دين الله ، وعن التوحيد الخالص الذى جاءت به جميع الرسالات .

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِنَّا لَمُتَّبِعُونَ وَمَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أَوْقَىٰ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرَقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة) .

وإذن فلا حاجة إلى الشقاق والنزاع ، والجدل والنقاش ، وكلهم يؤمنون بإله واحد ، والمسلمون يؤمنون بما أنزل إليهم وما أنزل إلى من قبلهم ، وهو فى صميمه واحد ، والمنهج الإلهى متصل الحلقات .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا تَجِدُ إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ .

وإلى قيام الساعة ينقسم أهل الكتاب مع التعامل مع دعوة الإيذان إلى قسمين :

١ - قسم يؤمن ويرى أن ما جاء القرآن هو الحق .

٢ - قسم ييحد وينكر مع أن فى الآيات دلائل على الصدق والوضوح .

ولا ينفك الظالمون يثرون الشبهات على الرسول والقرآن والمؤمنين ، فيقولون إن الرسول كتب القرآن عن أعجمى ، وتلك فرية كاذبة فقد كان الرسول لا يقرأ ولا يكتب ، وكان الأولى الإيذان ؛ لأنه أتى لهم بكتاب معجز ، ولكن هذا الكتاب لا يدرك إعجازه ولا يعى آياته إلا من أوتى دقة الفهم ، ورقة الشعور ومن تعلق قلبه بالله ، فتفتح جوارحه صدره وقلبه وعقله لتلقى هذا الفيض الإلهى ، فهذا الكتاب هدى وبشرى ورحمة للمؤمنين .

قال القاسمى : « قال السيوطى فى ( الإكليل ) : فى هذه الآية دليل على أنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وفيها رد على من زعم أنه كتب » .

وهكذا يتبع السياق مواضع شبهاتهم حتى الساذج الطفولى منها ، فحتى على فرض أن رسول الله ﷺ كان قارئاً كاتباً ، ما جازهم أن يرتابوا ، فهذا القرآن يشهد بذاته على أنه ليس من صنع البشر ، فهو أكبر جداً من طاقة البشر ومعرفة البشر ، وآفاق البشر ، والحق الذى فيه ذو طبيعة مطلقة كالحق الذى فى هذا الكون ، وكل وقفة أمام نصوصه توحى القلب بأن وراءه قوة ، وبأن فى عباراته سلطاناً ، لا يصدران عن بشر .

فهو دلائل واضحة في صدور الذين وهبهم الله العلم ، لا لبس فيها ولا غموض ، ولا شبهة فيها ولا ارتياب ، دلائل يجودونها بيته في صدورهم ، تطمئن إليها قلوبهم ، فلا تطلب عليها دليلاً وهى الدليل ، والعلم الذى يستحق هذا الاسم ، هو الذى تجده الصدور في قراراتها ، مستقرًا فيها ، منبعثًا ، يكشف لها الطريق ، ويصلها بالخيط الواصل إلى هناك ، وما ينكر آيات الله إلا الظالمون الذين لا يعدلون في تقدير الحقائق وتقويم الأمور ، والذين يتجاوزون الحق والصراط المستقيم والإيمان بالله كسب ، كسب في ذاته ، والأجر عليه بعد ذلك فضل من الله .

إن الحق أبلج ظاهر ، وإن الباطل مظلم زاهق ، ولا يحتاج إلى آيات ظاهرة ، ولا يطلب خوارق ومعجزات ليؤمن إلا من سدت مسامعه بل وجوارحه عن الحق ، وإن معجزة واحدة كالقرآن تكفى للإذعان للحق ، وتزيل كل شبهة .

وتنبه الآيات الدعاة بنسبة الأمر كله لله بأن الآيات والمعجزات من الله ، فالرسول ينذر ويحذر ، ويؤدى ما كلف به وفي ذلك يقول صاحب الظلال :

« إنه تجريد العقيدة من كل وهم وكل شبهة ، وإيضاح حدود الرسول وهو بشر مختار ، فلا تتلبس بصفات الله الواحد القهار ، ولا تغمى حولها الشبهات التى غامت على الرسالات حين برزت فيها الخوارق المادية ، حتى اختلطت في حس الناس ، والتبست الأوهام بالخرافات ، ونشأت عنها الانحرافات » .

وهؤلاء الذين يطلبون الخوارق يغفلون عن تقدير فضل الله عليهم بتنزيل هذا القرآن ، أو لم يكفهم أن يعيشوا مع الساء هذا القرآن ؟ وهو ينزل عليهم ، يجدتهم بها في نفوسهم ، ويكشف لهم عما حولهم ، والله بعد ذلك يكرمهم حتى لينزل عليهم كلماته تتلى عليهم ، ثم هم لا يكتفون ، والذين آمنوا هم الذين يجدون مس هذه الرحمة في نفوسهم ، وهم الذين يتذكرون فضل الله وعظيم منته على البشرية بهذا التنزيل ، ويستشعرون كرمه وهو يدعوهم إلى حضرته وإلى مائدته وهو العلى الكبير .

وأما الذين لا يشعرون بهذا كله ، فيطلبون آية يصدقون بها هذا القرآن ، وهؤلاء لا جدوى من المحاولة معهم ، وليترك أم الفصل بينه وبينهم إلى الله ، وشهادة من يعلم ما في السموات والأرض أعظم شهادة ، وهو الذى يعلم أنهم على الباطل الخاسرون على الإطلاق ، الخاسرون لكل شىء ، الخاسرون للدنيا والآخرة ، الخاسرون لأنفسهم وللهدى والاستقامة والطمأنينة والحق والنور .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

- ١ - الرفق في الدعوة ولين الجانب مع المدعويين .
- ٢ - الحذر من شبهات الأعداء ، وردّها بما يدمغها .
- ٣ - أخذ العبرة والعظة من القرآن ، ومدارسة آياته ، وتدبره .
- ٤ - الثقة في وعد الله عز وجل بالنصر للمؤمنين .

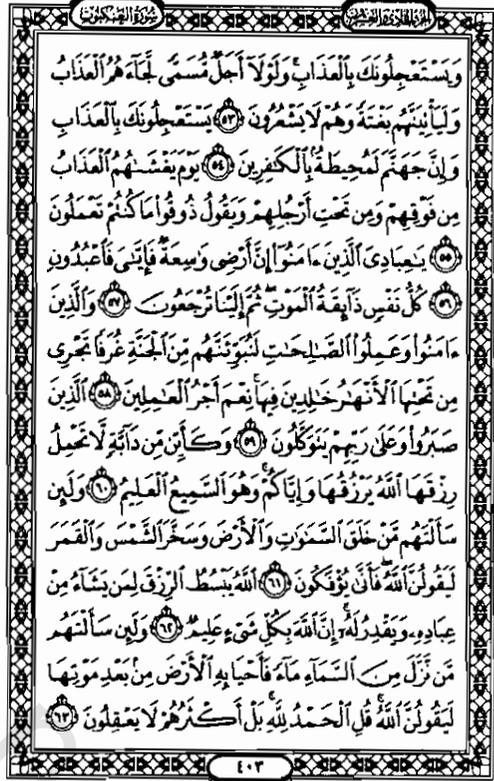
## معانى الكلمات :

أجل مسمى : وقت محدد . بغنة : فجأة .

لنبوتهم : لنسكنهم دائماً . غرقاً : منازل عالية . كآين : كثير . لا تحمل رزقها : لا تقدر على كسب رزقها . يسبط : يوسع . يقدر : يضيق .

## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن برحمة الله للناس في تقسيم الأرزاق بينهم .
- ٢ - أن يعلم المسلم الحكمة من بسط الرزق لمن يشاء من عباده وقدره على آخرين .
- ٣ - أن يسعى المسلم في دعوته واثقاً من معين الله له .



## المحتوى التربوى :

تظهر الآيات حكمة تأجيل العذاب ويقول صاحب الظلال : « كثيراً ما يكون إهمال الله استدراجاً للظالمين ليزدادوا عتواً وفساداً ، أو امتحاناً للمؤمنين ليزدادوا إيماناً وثباتاً ، وليتخلف عن صفوفهم من لا يطبق الصبر والثبات أو استبقاء لمن يعلم سبحانه أن فيهم خيراً أولئك المنحرفين ؛ حتى يتبين لهم الرشد من الغى فيشوبوا إلى الهدى ، أو استخراجاً لذرية صالحة من ظهورهم تعبد الله ، وتنحاز إلى حزيه ولو كان أبأؤهم من الضالين ، أو لغير هذا وذاك من تدبير الله المستور» .

ثم يأتى خطاب تعليم وإرشاد لرسم منهج التمكين للدعوة وهو الخروج من أرض الضيق ودفع خطرين يعترضان طريق الهجرة وهما :

- خاطر الأسى لمفارقة الوطن بكون الأرض كلها ملكا لله ، وأرض الله واسعة ، فأحب بقعة منها إذن هى التى يجدون فيها السعة لعبادة الله وحده دون سواه .

- والخطر الثانى هو الخوف من خطر الهجرة ، خطر الموت الكامن فى محاولة الخروج فىأتى الإقناع الربانى : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » . فالموت حتم فى كل مكان .

وتأتى الآيات بما يطمئن المؤمنين ويشتهم من الخوف من خطر الرزق بعد مغادرة الوطن والمال ومجال العمل ، والنشاط المألوف ، وأسباب الرزق المعلومة ، وتدعو للتأمل فى رحمة الله بأن الدابة التى لا تستطيع اكتساب رزقها الله يرزقها ولا يدعها تموت جوعاً، فهذه هى الدواب ، وكذلك يرزق الله من الناس المؤمن والكافر ، والبر والفاجر؛ لذا فليعلم المؤمنون أن رحمة الله تحوطهم ، وأن الضيق لرفع منزلتهم والسمو بمكائتهم .

ويمضى السياق القرآنى ليظهر اعتراف الكافرين بالله عز وجل ، وأن الله خالق السموات والأرض ، ومسخر الشمس والقمر ، ومنزل السماء ومحيى الأرض بعد موتها ، وهذا الاعتراف يفضى إلى الاعتراف بأن الرزق بيد الله ، وقد أبان ذلك صاحب الظلال بقوله : « والرزق ظاهر الارتباط بدورة الأفلاك ، وعلاقتها بالحياة والماء والزرع والإنبات ، وبسط الرزق وتضييقه بيد الله ، وفق الأوضاع والظواهر العامة ، فموارد الرزق من ماء ينزل ، وأنهار تجرى وزرع تنبت ، وحيوان يتكاثر ، ومن معادن فى جوف الأرض ، كلها تتبع نواميس الكون ، ولو تغيرت تلك النواميس عما هى عليه أدنى تغيير لظهر أثر هذا فى الحياة كلها على سطح الأرض ، وفى المخبوء فيها من الثروات الطبيعية الأخرى سواء بسواء ، فحتى هذا المخبوء فى جوف الأرض ، إنما يتم تكوينه وتخزينه واختلافه من مكان إلى مكان وفق أسباب طبيعة الأرض وتأثراتها بالشمس والقمر .

إن الكون بحال النظر والتدبير للحق الذى جاء به ، ويقف القلب أمام هذا الكون وقفة المتفكر المتدبر اليقظ لعجائبه ، الشاعر بيد الصانع وقدرته ، المدرك لنواميسه الهائلة ، بلفتة هادئة يسيرة ، لا تحتاج إلى علم شاق عسير ، إنما نحتاج إلى حس يقظ وقلب بصير ، وكلما جلا آية من آيات الله فى الكون وقف أمامها يسبح بحمد الله ويربط القلوب بالله .

قال صاحب الأساس : « بمناسبة قوله تعالى : ﴿ يَعْبُدِى الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِى وَبِعْدَةِ قَائِنِى فَأَعْبُدُونِ ﴾ قال ابن كثير : هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذى لا يقدرّون فيه على إقامة الدين ، إلى أرض الله الواسعة ، حيث يمكن إقامة الدين ، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يَعْبُدِى الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِى وَبِعْدَةِ قَائِنِى فَأَعْبُدُونِ ﴾ روى الإمام أحمد .. عن أبى يحيى مولى الزبير ابن العوام قال : قال رسول الله ﷺ : « البلاد بلاد الله ، والعباد عباد الله ، فحيثما أصبت خيراً فاقم » ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ؛ ليأمنوا على دينهم هناك ، فوجدوا خير المنزلين هناك أصحمة النجاشى ملك الحبشة رحمه الله تعالى ، فأواهم وأيدهم بنصره ، وجعلهم سيوماً ببلاده ، ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ والصحابة الباقيون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة .

ويشير صاحب الظلال إلى أن السياق القرآنى يمضى : « فى معالجة النفوس البشرية ، التى تواجه مشاق الهجرة ومتاعبها ومخاوفها ، وتشفق من التعرض لها ، وقد عاجلها فى الآيات

السابقة بذلك المشهد المثير للاشمئزاز والخوف معاً ، فهو يعالجها بعد ذلك بيث عوامل الطمأنينة - سواء وصل المهاجر إلى وجهته أو مات في طريقه - في حالة الهجرة في سبيل الله ؛ وبضمان الله للمهاجر منذ أن يخرج من بيته مهاجراً في سبيله ووعده بالسعة والمتنفس في الأرض والمنطلق ، فلا تضيق به الشعاب والفتاح :

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٠) .

إن المنهج الربانى القرآنى يعالج في هذه الآية مخاوف النفس المتنوعة ؛ وهى تواجه مخاطر الهجرة ؛ في مثل تلك الظروف التى كانت قائمة ؛ والتى قد تتكرر بذاتها أو بما يشابهها من المخاوف في كل حين .

وهو يعالج هذه النفس في وضوح وفصاحة ، فلا يكتف عن شياً من المخاوف ، ولا يدارى عنها شيئاً من الأخطار - بما في ذلك خطر الموت - ولكنه يسكب فيها الطمأنينة بحقائق أخرى وبضمانه الله سبحانه وتعالى .

فهو أولاً يحدد الهجرة بأنها ﴿ في سبيلِ اللَّهِ ﴾ .. وهذه هى الهجرة المعترية في الإسلام ، فليست هجرة للشراء ، أو هجرة للنجاة من المتاعب ، أو هجرة للذائد والشهوات ، أو هجرة لأى عرض من أعراض الحياة ، ومن يهاجر هذه الهجرة - في سبيل الله - يجد في الأرض فسحة ومنطلقاً فلا تضيق به الأرض ، ولا يعدم الحيلة والوسيلة ، للنجاة وللرزق والحياة :

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (النساء: ١٠٠) :

وإنما هو ضعف النفس وحرصها وشحها ، يخيل إليها أن وسائل الحياة والرزق ، مرهونة بأرض ومقيدة بظروف ، ومرتبطة بملابسات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلاً .

وهذا التصور الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة والنجاة ؛ هو الذى يجعل النفوس تقبل الذل والضميم ، وتسكت على الفتنة في الدين ؛ ثم تتعرض لذلك المصير البائس ، مصير الذين تتفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، والله يقرر الحقيقة الموعودة لمن يهاجر في سبيل الله ، إنه سيوجد في أرض الله منطلقاً وسيجد فيها سعة ، وسيجد الله في كل مكان يذهب إليه ، يحيه ويرزقه وينجيهِ .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - الثقة بأن عقاب الله واقع بالكافرين ، وأن تأخيره لاستدراج الكافرين ورفع شأن المؤمنين .

٢ - أن يسلك المؤمن كل الطرق ؛ ليستمر في طريق الدعوة لله حتى لو ترك وطنه .

٣ - ألا يشغل المؤمن قلبه بالرزق ؛ لأنه مقدر من الله .

معانى الكلمات :

هو ولعب : لذائذ وعبث باطل .

الفلك : السفن .

حرماً آمناً: المراد مكة .

مشوى : مكان يقيمون فيه .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بعظم رابطة الإيمان ، وأنها تملو ما سواها .
- ٢ - أن يعرف المؤمن مواقف تزيد من إيمانه بربه .
- ٣ - أن يمضى المؤمن في دعوته واثقاً من نصر الله للمؤمنين .

المحتوى التربوى :

تقرر الآيات أن الحياة الدنيا لعب وهو حين لا ينظر فيها إلى الآخرة ، ويصحح صاحب الظلال خطأ قد يفهم من الآية بقوله : « والقرآن لا يعنى بهذا أن يحض على الزهد فى متاع الحياة الدنيا والفرار منه وإلقائه بعيداً ، إن هذا ليس روح الإسلام ولا اتجاهه ، بل المقصود هو استعلاء النفس ، وسموها حتى لا تصبح أسيرة لهذا المتاع » .

ثم يعرض النص القرآنى بما يبكت الكافرين بإظهار تناقضهم واضطرابهم بأنهم إذا ركبوا فى الفلك ، وتعرضت سفينتهم للفرق لم يلجؤوا إلى الله ، لينجدهم وينجيهم ، وهذا نداء الفطرة التى تنادى بأن القوة هى قوة الله .